"آليات وضوابط"

أ. د. بشير معمرية
جامعة محمد الأمين دباغين. سطيف. الجزائر
bashirmaamria2015@gmail.com

ضرورة النقد.

1 . إن النقد ضمير العلم.

2 . إن النقد العلمي هو نفسه التفكير العلمي.

3 . إن أي عمل يُنشر ويطلع عليه الآخرون، يفقد الملكية الشخصية، فيصير من حقهم نقده وتقييمه، ولا يستطيع صاحبه منعهم، لأنه إذا منع المنظرون والباحثون، الآخرين من تناولهم لإنتاجهم بالنقد والتقييم، فلا يتطور العلم.

4 . النقد يبرز ما هو صحيح وما هو خطأ، وما هو جيد وما هو رديء، وما هو ملائم وما هو غير ملائم.

5 . ألنقد يوجه للعمل المنجز، ولا يوجه لصاحب العمل.

اقتراح كتاب في علم النفس العيادي (تأليف جماعي).

تم اقتراح كتاب للتأليف الجماعي، في علم النفس العيادي، ووضع له عنوان، كما يلي:

"آليات وضوابط الممارسة العيادية في الجزائر".

لاحظت، العديد من الباحثين والطلاب/ الباحثين، يستعملون لفظ آليات في بحوثهم، ولم أعرف مصدر هذه الكلمة. وبالصدفة عرفت أنهم ربما اقتبسوها من تلك اللافتات، أو الإشارات التي نشاهد إحداها في الصورة، تشير إلى وجود طريق فرعي، تسلكه آليات ومركبات قادمة من ورشة، أو من شركة، أو من محشر.

"آليات وضوابط".

إن كلمة آليات، تعتبر غريبة عن اللغة العلمية لعلم النفس، وكل علم النفس (ما عدا آليات الدفاع، في التحليل النفسي)، وقد تشير، إلى الجمود والصرامة، ولا تنسجم مع طبيعة السلوك البشري الذي يتصف بالمرونة، والقابلية للتغيير والتعديل، سواء في البحث أم في التشخيص أم في العلاج.

. ما الذي ينبغي جعله آليا ؟ إن الآلية في التحليل النفسي، لا شعورية، ولا يمكن أن يعرف العيادي كيف تحدث، أما في ممارسته التشخيص والعلاج النفسيين، فهو يعرف، جيدا، العمل الذي يقوم به.

. وما الذي ينبغي ضبطه ؟ يستعمل الباحثون في علم النفس، في جامعاتنا، كلمة "ضبط"، في جميع عناصر بحوثهم الميدانية : ضبط المتغيرات، ضبط العنوان، ضبط العينة، ضبط الفرضيات، ضبط

ضرورة النقد.
1 . إن النقد ضمير العلم.
2 . إن النقد العلمي هو نفسه التفكير العلمي.
3 . إن أي عمل يُنشر ويطلع عليه الآخرون، يفقد الملكية الشخصية، فيصير من حقهم نقده وتقييمه، ولا يستطيع صاحبه منعهم

النقد يبرز ما هو صحيح وما هو خطأ، وما هو جيد وما هو رديء، وما هو ملائم وما هو غير ملائم.
ألنقد يوجه للعمل المنجز، ولا يوجه لصاحب العمل.

إن كلمة آليات، تعتبر غريبة عن اللغة العلمية لعلم النفس، وكل علم النفس (ما عدا آليات الدفاع، في التحليل النفسي)، وقد تشير، إلى الجمود والصرامة، ولا تنسجم مع طبيعة السلوك البشري الذي يتصف بالمرونة، والقابلية للتغيير والتعديل

إن الآلية في التحليل النفسي، لا شعورية، ولا يمكن أن يعرف العيادي كيف تحدث، أما في

التعريفات الإجرائية، ضبط الأساليب الإحصائية.... إنهم مهوسون بكلمة "ضبط"، ولو يُسألون عن ما يقصدونه بهذه الكلمة، من المؤكد أنهم لا يجيبون.

توجد كلمة "ضبط" ضمن أحد شروط المنهج التجريبي، وهو "الضبط التجريبي"، ويعني تحديد المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة والمتغيرات الدخيلة، في الموقف التجريبي. ويوجد في علم النفس، مفهوم : مصدر الضبط الداخلي/ الخارجي للتعزيز، أو للسلوك. جاء به، السيكولوجي الأمريكي/ جوليان ب. روتر، عام 1966.

حدود علم النفس العيادي.

إن علم النفس العيادي، يتحدد موضوعه في التعامل مع المرض النفسي، فاستعار لفظين يشيران إلى أداءين، من الطب، هما : التشخيص والعلاج، وما يتعلق بهما من مفاهيم فرعية، وأداءات وأدوات.

وكل المؤلفات في هذا التخصص النفسي الفرعي (علم النفس العيادي)، لا تخلو أبدا من الإشارة إليهما الاثنين؛ التشخيص والعلاج، أو على الأقل الإشارة إلى أحدهما، مع الثراء في الشرح والتوضيح للكثير مما يتعلق بهما، حول الطرق والأساليب والفنيات والأدوات، التي تستعمل في التشخيص وفي العلاج، بإمكان أن يتعلمها من يمارس العمل العيادي. وهي ألفاظ ومصطلحات تم إبداعها منذ ظهور هذا التخصص الفرعي في أواخر القرن التاسع عشر، (1896) في أمريكا، حين أسس لايتنر ويتمر Lightner Witmer، أول عيادة نفسية في جامعة بنسلفانيا. وتعد اللغة الرسمية والسائدة والمتداولة بين جميع أهل هذا التخصص، في جميع العيادات وأقسام علم النفس في العالم، فهي اللغة التي يفهمون من خلالها بعضهم، ويتواصلون بها علميا ومهنيا، وليسوا في حاجة إلى استعارة مفاهيم أخرى غريبة عن التخصص وثقافته. ولا توجد، في مراجع علم النفس العيادي، ألفاظا أو مصطلحات، بعيدة عما يتعلق بالتشخيص والعلاج، مثل : آليات وضوابط.

إن متخصصي علم النفس العيادي، محظوظون في هذا الأمر، فمهامهم محصورة في عملين، فقط، هما : التشخيص والعلاج. واللغة العيادية المتداولة بين ذوي التخصص العيادي، هي : أساليب التشخيص، طرق التشخيص، أدوات التشخيص، وما يتعلق بها من مفاهيم فرعية أخرى، وممارسات. وطرق العلاج النفسي، أساليب العلاج النفسي، فنيات العلاج النفسي وما يتعلق بها من مفاهيم فرعية أخرى، وممارسات. ويغبطهم في ذلك زملاؤهم المتخصصون في علم النفس التربوي، مثلا، فهذا التخصص، رغم أنه تم تحديده كذلك، في جانبين هما : السلوك الإنساني والمواقف التربوية، إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة. ما هي حدود السلوك الإنساني ؟ وما هي حدود المواقف التربوية ؟

إن التقيد بالمصطلحات واللغة العلمية لتخصص علمي معين، يعد جانبا أساسيا، ودليلا قويا على الإلمام والتمكن من هذا العلم، هذا شيء مؤكد، كما يعد مؤشرا جيدا على احترام المتخصص لتخصصه العلمي.

يتطور العلم من داخله.

إن المتخصص في علم معين، ينبغي عليه دائما أن يكون متحفظا إزاء ما يمكن أن يقتحم تخصصه، من ألفاظ أخرى غريبة، تلوّثه، وتعكر صفوه ونقاءه، إلا ما تم استعارته من تخصصات أخرى لفائدته. فقد استعار علم النفس مفاهيم عديدة من علوم أخرى.

تُجدد وتُبدع مفاهيم في العلم باستمرار، ولكن بطريقة نقدية، يتم إبعاد مفهوم قديم صار غير صالح،

ممارسته التشخيص والعلاج النفسيين، فهو يعرفه، جيدا، العمل الذي يقوم به

يستعمل الباحثون في علم النفس، في جامعاتنا، كلمة "ضبط"، في جميع عناصر بحوثهم الميدانية : ضبط المتغيرات، ضبط العنوان، ضبط العينة، ضبط الفرضيات، ضبط التعريفات الإجرائية، ضبط الأساليب الإحصائية...

إن علم النفس العيادي، يتحدد موضوعه في التعامل مع المرض النفسي، فاستعار لفظين يشيران إلى أداءين، من الطب، هما : التشخيص والعلاج

اللغة العيادية المتداولة بين ذوي التخصص العيادي، هي : أساليب التشخيص، طرق التشخيص، أدوات التشخيص، وما يتعلق بها من مفاهيم فرعية أخرى، وممارسات. وطرق العلاج النفسي، أساليب العلاج النفسي،

إن التقيد بالمصطلحات واللغة العلمية لتخصص علمي معين، يعد جانبا أساسيا، ودليلا قويا على الإلمام والتمكن من هذا العلم، هذا شيء مؤكد، كما يعد مؤشرا جيدا على احترام المتخصص لتخصصه العلمي

إن المتخصص في علم معين، ينبغي عليه دائما أن يكون متحفظا إزاء ما يمكن أن يقتحم تخصصه، من ألفاظ أخرى غريبة، تلوّثه، وتعكر صفوه

ونقاءه، إلا ما تم استعارته من تخصصات أخرى لفائدته

أن تقحم مفاهيم جديدة دون هدف واضح، ودون فهم، ودون فائدة علمية واضحة، فهذا ليس بعلم.

ينمو العلم ويتطور، أولا، بإدراك ما بداخله من مفاهيم، في جانبيه النظري والعملي

لفظ "مهارات"، التي لا تقال ضمن المصطلحات المتعلقة بالإبداع، بل تقال ضمن سيكولوجية الإتقان، فالفرد الماهر يتقن، ولهذا يوصف بالماهر

في مجال العلم، ينبغي أن تكون المفاهيم واضحة، لدى جميع المتخصصين، لان العلم لا يتعامل بمفاهيم غامضة، ولا يمكن أن ينمو بها

إن المتخصص الباحث في علم معين، عليه أن يستوعب تخصصه، ويتقنه، ويتعامل مع حقائقه من داخله، وليس من خارجه، وأول، وأهم، ما ينبغي عليه أن يستوعبه ويتقنه، هو مفاهيمه، فهي لغة ذلك التخصص

أعتقد أنه من المتوقع، أن يأتي يوم، لا يفهم المتخصصون في علم النفس لغة بعضهم البعض (حوار الطرشان)، ما دامت تدرج فيه هذه النفايات والقمامات اللفظية. وربما يتلوّث، ويصير مسخا

ويعوّض بمفهوم آخر أحسن في تفسير الظاهرة السلوكية (الدافع بدل الغزيرة . ودورث). أو يدعَّم مفهوم بمفهوم آخر، ليصير أفضل لتفسير سلوك معين (قيمة التعزيز بدلا من التعزيز . روتر)، أو إبداع مفهوم جديد لتفسير نمط معين من السلوك، (مصدر الضبط . روتر)، أما أن تقحم مفاهيم جديدة دون هدف واضح، ودون فهم، ودون فائدة علمية واضحة، فهذا ليس بعلم.

ينمو العلم ويتطور، أولا، بإدراك ما بداخله من مفاهيم، في جانبيه النظري والعملي، فإذا أدرك العلماء وجود نقص ما داخل العلم؛ سواء بالفقدان أم بعدم الملاءمة، يأتون بمفاهيم جديدة، إما من داخله؛ (فرويد . التداعي الحر)، (وودورث . الدافع)، (روتر . مصدر الضبط)، (روتر . قيمة التعزيز)، أو من خارجه؛ (الإستراتيجية . المجال العسكري)، (التشخيص والعلاج . الطب)، (التخطيط . الإدارة والاقتصاد)، (البعد . الرياضيات)، (القياس . الفيزياء)، (النضج . البيولوجيا)، وغيرها.

الحذر مما يكتب في تخصصات أخرى.

ينبغي كذلك، الانتباه إلى ما يكتبه ذوو تخصصات أخرى في علم النفس. حدث أن شاهدت عنوان كتاب يتضمن : "مهارات الإبداع". فلفت انتباهي لفظ "مهارات"، التي لا تقال ضمن المصطلحات المتعلقة بالإبداع، بل تقال ضمن سيكولوجية الإتقان، فالفرد الماهر يتقن، ولهذا يوصف بالماهر. أما الإبداع، كما حدده السيكولوجي الأمريكي؛ ج. ب. جلفورد، بأسلوب التحليل العاملي، سنة 1950، وحدد بناءه العاملي، فقد أطلق على مكوّناته العاملية : القدرات الإبداعية، أو العمليات الإبداعية، وهي : الحساسية للمشكلات، الأصالة، المرونة، الطلاقة، إعادة التنظيم أو إعادة التحديد، التحليل والتأليف، التركيب في البناء التصوري، التقييم. وهي ليست كلها قدرات، بل تتوفر على سمات، كما نلاحظ. ولما اطلعت على مضمون ذلك الكتاب، وجدت أنه متخصص في الإدارة، وليس في علم النفس. فحمدت الله. ولكن ظهرت بعد ذلك، عناوين لبحوث في علم النفس، تستعمل لفظ : "مهارات الإبداع".

لماذا تنجز قواميس ومعاجم لمصطلحات علم النفس.

نعود إلى "الآليات والضوابط". ما الآليات ؟ وما الضوابط ؟ هل تتعلق بالتشخيص أو بالعلاج ؟ من المؤكد، أن الذين وضعوا هاتين الكلمتين، لا يعرفون معناهما. وأنا، كذلك، لا أعرف المقصود بهما.

إن كلمتي آليات وضوابط، قد يحدث، بسبب غموضها، قليل أو كثير من سوء الفهم، واضطراب في الاتصال والتواصل، بين الأفراد غير المتخصصين، في أحاديثهم اليومية، ولا يتسبب ذلك في ضرر كبير، ولكن في مجال العلم، ينبغي أن تكون المفاهيم واضحة، لدى جميع المتخصصين، لان العلم لا يتعامل بمفاهيم غامضة، ولا يمكن أن ينمو بها. ولماذا، إذن، تنجز، باستمرار، قواميس ومعاجم متخصصة في مفاهيم علم النفس.

إن المتخصص الباحث في علم معين، عليه أن يستوعب تخصصه، ويتقنه، ويتعامل مع حقائقه من داخله، وليس من خارجه، وأول، وأهم، ما ينبغي عليه أن يستوعبه ويتقنه، هو مفاهيمه، فهي لغة ذلك التخصص، وإذا نأى عنها، واستعمل مفاهيم أخرى، سيجد نفسه يبحث في تخصص علمي آخر.، ويجد صعوبة في الاتصال والتواصل مع أهل اختصاصه.

وأعتقد أنه من المتوقع، أن يأتي يوم، لا يفهم المتخصصون في علم النفس لغة بعضهم البعض (حوار الطرشان)، ما دامت تدرج فيه هذه النفايات والقمامات اللفظية. وربما يتلوّث، ويصير مسخا.

مكونات المهنة.

إن كل عمل مهني، يمر بمرحلتين، هما : الإعداد النظري، ثم الممارسة المهنية. وتَحقق هذا لأقدم ثلاث مهن، هي : الطب، والمحاماة، والهندسة. ومن الطبيعي أن ينطبق هذا على علم النفس العيادي، عندما يُتّخذ مهنة. فهناك التكوين النظري في الجامعة، ثم الممارسة المهنية في العيادة. ومن المفروض أن الذي يريد الكتابة حول علم النفس العيادي، أن يتناول أي مرحلة منهما أو المرحلتين معا، فيقيّم أداءهما، من حيث الفعالية والجودة والنجاح، أو من حيث الضعف والرداءة والإخفاق.

ويمكن اقتراح عنوان الكتاب، كما يلي :

"علم النفس العيادي في الجزائر من الإعداد الجامعي إلى الممارسة المهنية .

مؤشرات النجاح ومؤشرات الإخفاق".

أو

"علم النفس العيادي في الجزائر . تقييم لمساره

النظري والمهني ؟".

عندما يذكر في العنوان، التكوين والتعليم في الجامعة، وتذكر الممارسة المهنية، كذلك، سوف يجد الراغبون في المشاركة في الكتاب، الموضوعات التي سوف يكتبون فيها، أما كلمتا آليات وضوابط، فغير واضحتين بالنسبة لموضوع الكتاب، ولتخصص علم النفس العيادي.

الميثاق الأخلاقي أو القانون.

ورد في محاور الكتاب المقترح، لفظ "قانون". إن القانون لا يذكر في الوثائق التي تمارس بموجبها المهنة العيادية، **إن الذي تم وضعه لتنظيم عمل الأخصائي النفسي العيادي، أطلق عليه : "المعايير الأخلاقية، أو الميثاق الأخلاقي، أو دستور السلوك للممارسة المهنية العيادية"**. ويصدره أهل الاختصاص. وأصدرته الجمعية الأمريكية لعلم النفس، لأول مرة عام 1953، باسم : "معايير السلوك الأخلاقي للأخصائيين النفسانيين". ولا يتعلق بأخلاق ومعايير تنظيم الممارسة العيادية ومراقبة أدائها، فقط، بل يتناول كذلك عملية إعداد الأخصائي العيادي، وشروط امتهانه لها.

العياديون وعلم النفس.

إن العياديين، عموما، في حدود ملاحظاتي، لا يسعون إلى الإلمام بجوانب كثيرة في علم النفس. فإذا أثيرت أمامهم موضوعات مركزية في علم النفس، مثل : الدافعية، أو نظريات التعلم، أو نظريات الشخصية، أو نظرات النمو، أو القيم أو الاتجاهات، وغيرها، يبدون تحفظا إزاءها، بدعوى أنهم عياديون، ولا تعنيهم هذه الموضوعات.

إن جلّ ما يهتمون به في تخصصهم العيادي، هو المقابلة العيادية، والاختبارات الإسقاطية، وهذا كل ما يتعلق، في نظرهم، بمنهج البحث والتشخيص العياديين.

إن كل عمل مهني، يمر بمرحلتين، هما : الإعداد النظري، ثم الممارسة المهنية. وتَحقق هذا لأقدم ثلاث مهن، هي : الطب، والمحاماة، والهندسة

من الطبيعي أن ينطبق هذا على علم النفس العيادي، عندما يُتّخذ مهنة. فهناك التكوين النظري في الجامعة، ثم الممارسة المهنية في العيادة

إن الذي تم وضعه لتنظيم عمل الأخصائي النفسي العيادي، أطلق عليه : "المعايير الأخلاقية، أو الميثاق الأخلاقي، أو دستور السلوك للممارسة المهنية العيادية

معايير السلوك الأخلاقي للأخصائيين النفسانيين". ولا يتعلق بأخلاق ومعايير تنظيم الممارسة العيادية ومراقبة أدائها، فقط، بل يتناول كذلك عملية إعداد الأخصائي العيادي، وشروط امتهانه لها

إن جلّ ما يهتمون به في تخصصهم العيادي، هو المقابلة العيادية، والاختبارات الإسقاطية، وهذا كل ما يتعلق، في نظرهم، بمنهج البحث والتشخيص العياديين

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMaamriaMechanisms&Controls.pdf

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
Arabpsynet